٣٥ عذاب القبر ونعيمه

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : حديثنا اليوم معكم بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن **(عذاب القبر ونعيمه)** .

أيها المؤمنون : اعلموا أن الإنسان إذا مات ، قامت قيامته الصغرى ،

فيكون حينئذ إما في نعيم وإما في جحيم ، وإما في روضة من رياض الجنة وإما في حفرة من حفر النيران.

وحياتنا في القبر بعد مماتنا حقًا ويسألنا به الملكان

والقبر صح نعيمه وعذابه وكلاهما للناس مدخران [1]

والقبر: هو مدفن الأموات كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾(عبس: ٢١).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أي : أكرمه بدفنه.

فالله جَلَّ وَعَلَا جعل لهذا الإنسان قبرًا يوارى فيه إكرامًا له ، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض ، فتأكله الطيور والعوافي[2].

والبرزخ في اللغة: الحاجز ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (الفرقان : ٥٣).

وقوله تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ (الرحمن : ٢٠).

والمراد بالبرزخ :هو الوقت ما بين موت الإنسان ، وقيام الساعة وسواء دفن الميت ، أو أكلته السباع في البر ، أو الحيتان في البحار أو أتلفته الرياح فإنه يكون في برزخ مُنعمًا أو مُعذبًا على حسب عمله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٠).

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم ﴾(المؤمنون : ١٠٠) ، أي : من أمامهم وبين أيديهم ﴿ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٠).فبين القبر ، والبرزخ عموم وخصوص ، فالبرزخ عام والقبر خاص.

---

(١) نونية القحطاني ص(١٦) .

(٢) العوافي : الوحوش والبهائم.

ولقد جاءت أدلة كثيرة من القرآن الكريم ومن سنة نبينا محمد ﷺ في إثبات عذاب القبر ونعيمه فمن ذلك:

قوله تعالى عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر : ٤٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] : وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السُّنَّة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ (غافر : ٤٦).

وفي الصحيحين [٢] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** » .

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(الأنعام : ٩٣) ، قوله ﴿ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾(الأنعام : ٩٣) أي سكراته وكرباته ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الأنعام : ٩٣) أي : بالضرب والعذاب كما قال جلت عظمته في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (الأنفال : ٥٠).

---

(١) تفسير ابن كثير ج٦(٤٩٧).
(٢) البخاري برقم (١٣٧٩) ومسلم برقم (٢٨٦٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] في تفسير هذه الآية: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الآية أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله.

لأن (أل) في قوله : اليوم للعهد الحضوري ، فيبدأ عذاب الظالمين من الموت فما بعده ، عافانا الله من ذلك كله.

معاشر الإخوان في الله : ومن الأدلة العظيمة على إثبات عذاب القبر في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه : ١٢٤).

فهذه الآية تشمل معيشتهم الضنك في الدنيا ، مما يجدون من القلق، والحيرة والاضطراب ، وتشمل عذابهم في القبور قال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المعيشة الضنك فقال «عذاب البرزخ» . [٢]

واختار ذلك جمع من السلف .

وقال تعالى ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (التوبة : ١٠١) .

(١) تفسير ابن كثير ج٣(٥٧٧) .
(٢) موارد الظمئان برقم (٧٨١) وسنده حسن.

قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ أي : بالجوع وعذاب القبر.

وقال قتادة وابن جريج رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ « عذاب الدنيا وعذاب القبر » .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ «عذاب الدنيا وعذاب القبر »[1]

وقوله: ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾(التوبة:١٠١)، هذا هو العذاب الثالث للمنافقين ، وهو نار جهنم.

وقال جل شأنه:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم : ٢٧) .

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما [2] عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: « **المسلم إذا سُئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله** « ، فذلك قوله:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ وفي رواية «نزلت في عذاب القبر » .

وأما الأحاديث الواردة في إثبات القبر ونعيمه فهي كثيرة جدًا منها:

في الصحيحين [3] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «**نعم، عذاب القبر**» قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر » .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٣٤١) وأثر مجاهد أخرجه الطبراني وسنده صحيح.
(٢) البخاري برقم (٤٦٩٩) ومسلم برقم (٢٨٧١).
(٣) البخاري برقم (١٣٧٢) ومسلم برقم (٥٨٦).

عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تقول: «قام رسول الله ﷺ خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة» أخرجه الإمام البخاري وغيره [١].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: « العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، قال النبي ﷺ : « **فيراهما جميعًا، وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»»[٣].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير» ثم قال: «**بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**» قال: ثم أخذ عودًا رطبًا، فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[٤].

وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس،

---

(١) البخاري برقم (١٣٧٣)
(٢) البخاري برقم (١٣٧٤) ومسلم برقم (٢٨٧٠).
(٣) البخاري برقم (١٣٧٧) ومسلم برقم (٥٨٨).
(٤) البخاري برقم (١٣٧٨) ومسلم برقم (٢٩٢).

فسمع صوتًا فقال: «**يهود تعذب في قبورها**»[١].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ، قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر»[٢].

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**» رواه الترمذي[٣].

وعن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن الموتى ليعذبون في قبورهم، حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم**» رواه الطبراني[٤].

معاشر المؤمنين، لابد من ضمة القبر، فلا ينجو منها صغير، ولا كبير ذكر ،ولا أنثى، غني ولا فقير ،بر، ولا فاجر.

ففي معجم الطبراني عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قال: «**لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد، ولقد ضم ضمة، ثم رخي عنه**»[٥].

وعند الطبراني أيضًا[٦] عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن صبيًا دفن فقال رسول الله ﷺ: «**لو أفلت**»(**أي: نجا**) «**أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي**».

فهل تذكرنا - يا عباد الله - تلك القبور المظلمة على أهلها، فوالذي لا إله غيره، إنها لمظلمة على أهلها أشد من ظلمة الليل البيهم، ففي صحيح

---

(١) البخاري برقم (١٣٧٥) ومسلم برقم (٢٨٦٩).
(٢) مسلم برقم (٢٨٦٩).
(٣) الترمذي برقم (٢٣٠٨) وحسنه العلامة الألباني.
(٤) الطبراني برقم (١٠٤٥٩) الصحيحة ج٣(٣٦٦)
(٥) الطبراني في الكبير برقم (١٠٨٢٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٦٩٥).
(٦) الطبراني في الكبير برقم (٣٨٥٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢١٦٤).

مسلم [١] في قصة المرأة التي كانت تقم المسجد - أو شابًا - ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها - أو عنه - فقالوا: مات، قال: «**أفلا كنتم آذنتموني**» قال: فكأنهم صغروا أمرها - أو أمره - فقال: «**دلوني على قبره**» فدلوه، فصلى عليها، ثم قال: «**إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله عَزَّوَجَلَّ ينورها لهم بصلاتي عليهم**».

فلا إله إلا اله كم يحصل من الرعب، والذعر الذي يصيب الميت، وهو في قبره وحيدًا فريدًا.

إنها تلك القبور التي ظواهرها التراب، وبواطنها مملوءة بالعذاب، إنها تلك القبور التي ظواهرها التراب والأحجار المنقوشة مبنيات، وفي بواطنها الدواهي والبليات.

فنسأل الله العظيم أن يجعل قبورنا بعد فراق هذه الدنيا خير منازلنا، وأن يفسح لنا فيها ضيق ملا حدنا، وأن يجعلها مملوءة نورًا ونعيمًا.

والحمد لله رب العالمين.

(١) مسلم برقم (٩٥٦).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله الحي القيوم ، إنصافًا وعدلًا العظيم أسماءً ،وفضلًا ، والصلاة والسلام على النبي المجتبى ، والرسول المصطفى ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، لقد كان السلف الصالح في غاية من الخوف من الله، وعلى وجه الخصوص إذا شيعوا الجنائز ونظروا إلى القبور، ولقد حث النبي ﷺ على زيارة القبور ، لما في ذلك من عظيم العبرة وبليغ العظة ، فقال ﷺ : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها** » رواه مسلم [١].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «عودوا المرضى، واتبعوا الجنائز يذكركم الآخرة» رواه ابن المبارك في الزهد [٢].

فكيف بك- يا ابن آدم- إذا واراك الثرى؟ وسرى بك البلى وأصبحت جثة هامدة ، وجيفة بالية لا حركة لك ، فأين صولتك ، وجولتك وأين سلطانك وافتخارك.

قال الشاعر:

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر

---

(١) مسلم برقم (٩٧٧).

(٢) الزهد لابن المبارك برقم (٢٣٤) بتحقيق الدكتور أحمد فريد وسنده صحيح. الصحيحة.

وأيـــن المـــــذل بسلطانه وأيـــن المـزكـى إذا مـا افتخر
تـســاووا جميـعًـا ومـــات الخـبر ومـا تـوا جميـعًـا ومـــات الخـبر
تـــروح وتـغـدو بـنـات الـثـرى فتمحو محاسـن تلك الصور
فـيـا سـائـلي عـن انـــاس مضوا أمـــا لـــك في مـا مـضى معتبر

وقال آخر:

والله لـو عـاش الفتى في عمره الـفًـا مـن الأعـــوام مالك أمـره
مـتـلـذذا فـيـهـا بـكـل لـذيـذة متنعماً فيها بسكنـى قصره
لا يعتريه السقم طـول حياته كـلا ولا تـرد الهـمـوم بصدره
مـا كـــان ذلـــك كـلـه في أن فـيـهـا بـــأول لـيـلـة في قـبره

وقال آخر:

الـلـيـل مـهـما طـــال لا بد مـــن طـــلـــوع الـفـجـر
والـــعـــمـــر مـــهـــما طـــال لابـــد مـــن دخـــول الـقـبر

أخي المسلم : اليوم تشيع الجنائز ، وغدًا أنت المشيع ، اليوم تحمل الجنازة، وغدة أنت المحمول.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يـومًـا عـلى آلـة حـدبـاء محمول
فـإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بـأنـك بعدها محمول

أيها المؤمنون : ثبت عند الإمام ابن ماجه في سُننه عن البراء بن عازب

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر، فبكى، حتى بل الثرى، ثم قال: «**يا إخواني لمثل هذا فأعدوا**»[١].

وقال هانئ مولى عثمان بن عفان ، كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه**» رواه الترمذي[٢].

وقال ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ « كنا نشهد الجنازة فلا نرى إلا مطرقًا باكيًا» رواه البيهقي في الشعب[٣].

وقال إبراهيم بن يزيد النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ « كانوا يشهدون الجنازة ، فيظلون الأيام محزونين يعرف ذلك فيهم» رواه ابن المبارك في الزهد[٤].

أما نحن اليوم ، فما حالنا إلا كما قال الأول إلا ما رحم ربي:

تروعنا الجنائز مقبلات فنلهوا حين تغدوا مدبرات

فهل تفكرت – يا ابن آدم – في يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك إذا انتقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ، وأخذت من فراشك وغطائك إلى غرور ،وغطوك من بعد لين لحافها بتراب ومدر ، فبالله عليك هل ستنام أو يهدأ لك بال ، أو يقر لك قرار؟ كيف وقد كنت في الدنيا تؤرق ، وتقلق إذا غيرت مكان نومك داخل بيتك فضلًا عن خارجه ، فكم من قائل يقول : ما نمت الليلة لأنني

(١) ابن ماجه برقم (٤١٩٥) وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ، حديث حسن
(٢) الترمذي برقم (٢٣٠٨) وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ حديث حسن.
(٣) شعب الإيمان برقم (٣٩٣)
(٤) الزهد لابن المبارك برقم (٢٣٢) تحقيق الدكتور أحمد فريد.

غيرت مكاني ، فمجرد تغير المكان أرقك ، وأفزعك مع أنك نائم على الأسرة المفروشة بجوار أهلك ، ووسط عيالك ، والنور موجود، والأنس حاصل ، فقل لي بربك إذا غيرت مكان نومك من غرفتك المؤنسة إلى حفرة القبر الموحشة كيف سيكون حالك ؟، فإن كانت الدنيا قد شغلتك والآمال قد ألهتك ، فعليك بزيارة القبور .

وتأمل حال من مضى من إخوانك ودرج من أقرانك الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت في القبور أجزاؤهم ، وترمل بعدهم نساؤهم ، وشمل ذل اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم ، وتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على على نيل المطالب وانخداعهم لمواتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب واعلم أن ميلك إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلتك عما بين يديك من الموت الفظيع ، والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنك لا بد صائر إلى ما صاروا إليه ، وعندئذ تذهب عنك قسوة القلب وجمود العين ، وطول الأمل ، فتزهد في دنياك ، وتقبل على طاعة مولاك [1].

ستباشر الغبراء خدك ... وسيضحك الباكون بعدك
ولينزلن بك البلى ... وليخلقن الموت عهدك
ومتى رحلت عن الديار ... وأهلها وسكنت وحدك
لم تنتفع إلا بفعل ... صالح قد كان عندك

(١) الوصايا المنبرية للخلفي ص(٤١٤ -٤١٥).

وتـــــرى الـــذيـــن قـسـمـت مـالـك بينهم حـصـصًـا وكـد
يـــتـــلـــذذون بـــمـا جـمـعـت لهم ولا يـــشـــكـــون بـــعـــدك

اللهم يا جواد يا رؤوفًا بالعباد ، يا رحيم يا رحمان ، ارحمنا إذا صرنا إلى القبور ، وسكِّن رعبنا يوم الحشر والنشور ، اللهم ارحمنا إذا درس قبرنا ونسي اسمنا ، وانقطع ذكرنا ، اللهم ارحمنا إذا وارانا التراب ، وآنسنا إذا فارقنا الأهل والأصحاب ، آمين يا رب العالمين.